61 - قيام إسرائيل (1948)

Rise out of Israel (1948)

لعل قيام دولة إسرائيل هو أهم أحداث القرن العشرين .. بل لعله من أهم أحداث منطقة الشرق الأوسط على وجه الإطلاق ..

وقد ارتبط ، فى أذهاننا ، قيام إسرائيل بوعد بلفور عام 1917 .. إلا أن التمهيد لقيامها يمتد بجذوره فى أعماق التاريخ إلى ما هو أبعد من ذلك .. منذ أن نشطت الجمعيات اليهودية والصهيونية ، وتسللت إلى النفوذ الأوربى، وكثرت مؤتمراتها التى تنادى بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين .

وقد أثمرت الجهود الصهيونية فى الحصول على موافقات قادة أوربا ، لإقامة الدولة اليهودية .. كانت هذه الموافقات شفوية ، فى بداياتها ، ثم أصبحت عهوداً موثقة ، نشطت هذه الجمعيات فى المطالبة بتطبيقها ولم تهدأ حتى قامت إسرائيل على أرض فلسطين .

لم يكن «بلفور» هو أول من أعطى لليهود وعداً بإقامة دولة لهم فى فلسطين.. بل إن من المؤرخين من يؤكد أن نابليون بونابرت سبق بلفور ، بأكثر من مائة عام ، فى منحه هذا الوعد !!

ولنرجع بالتاريخ إلى عام 1799م ، أثناء حصار نابليون لمدينة عكا .. لقد حاصرها شهرين كاملين ، وفشل فى فتحها .. كان هذا أول فشل يصيب نابليون .. فشل فى عكا قبل أن يفشل وينتهى فى ووترلو .. صدم نابليون وتقلصت أحلامه ، وبدأ مرحلة السقوط إلى الهاوية، وفرّ من مصر هارباً.. وكأنما أصابته لعنة وعده لليهود !!

فماذا قال نابليون فى وعده المشئوم ؟

قال : «إن العناية الإلهية أرسلتنى إلى هنا ، على رأس جيشى هذا ، وقد جعلت هذه العناية الإلهية نشر العدل وتحقيقه مطلبى ، وتكفلت بظفرى المستمر .. وجعلت من القدس مقرى العام .. وبعد قليل ستجعل مقرى فى دمشق، وسوف أكون جاراً لبلد «داود» ، يا ورثة فلسطين الشرعيين !!

إن الأمة العظيمة التى تنجب الرجال تناديكم الآن ، لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم فحسب ، ولا لاسترجاع ما فقد منكم ، بل لأجل ضمان مؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم ، ولكى تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين !!

انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التى كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئاً ، ولم تثبط همة أبناء الأبطال أجدادكم .. أجدادكم الذين كانت محالفتهم تشرف أسبرطة وروما» !!

هذا هو النص الحرفى لوعد نابليون !!

لقد خاطب نابليون اليهود بأنهم ورثة فلسطين الشرعيين ، وأنها فقدت منهم وسوف يسترجعها لهم .. وأن هذا هو العدل .. وأن العناية الإلهية ضمنت له النصر .

وكلها مزاعم كذبتها العناية الإلهية في الحال .. فقد هزمته العناية الإلهية أمام عكا بعد أيام من هذا الوعد ، وضرب جيشه بالطاعون .. وفر هاربا فى جنح الظلام !

وماذا قبل ؟

قبل حملته على مصر ، كان نابليون قد عقد اجتماعاً سرياً مع بعض الشخصيات اليهودية فى فرنسا .

وقبل هذا الاجتماع السرى كان «توماس كوربت» ، اليهودى الأيرلندى البارز ، قد أرسل رسالة إلى «باراراس» عضو الدركتوار «حكومة الإدارة» ، ينصح فيها الفرنسيين باستعمار الشرق ، والعمل على إيجاد وطن لليهود فى فلسطين ، يكون ركيزة لفرنسا داخل هذا الوطن .

وجاء فى هذه الرسالة : «إن اليهود سوف يكونون لكم عنصراً استعماريا ثابت الأركان ، يحل فى آسيا محل الإمبراطورية الآخذة الآن فى الانحلال ، إمبراطورية العثمانيين ، وسوف يقدم لكم هذا العنصر اليهودى أهم الضمانات لبث الفوضى ، وهدم الدين وإشعال الأزمات ، وسوف يلين هذا العنصر التركى الصلد ، والمتعصب ،

نتيجة الاحتكاك والاختلاط باليهود القادمين من مختلف البلدان ، حاملين مختلف النظريات والثقافات !! بل إننى أعتقد أن الصين نفسها ستتأثر باليهود» !!

لقيت هذه الرسالة من الأيرلندى اليهودى ، اهتماماً بالغاً ، عقد على إثره الاجتماع السرى بين نابليون ويهود فرنسا .. وتمت فى هذا الاجتماع مساومة مكشوفة بين نابليون واليهود .. يصرف اليهود على نابليون وحروبه ، على أن يقتسم الطرفان المغانم .. لنابليون السلطة والمجد ، ولليهود العائد المادى ونشأة إسرائيل !!

وبناءً على هذا الاجتماع صدر البيان اليهودى التالى :

إن عددنا 6 ملايين منتشرون فى كل بقاع العالم ، وفى حوزتنا ثروات وأموال طائلة ، وعلينا أن نتزرع بكل قوتنا لاستعادة بلادنا !!

إن الفرصة سانحة ، ويجب استغلالها .. يجب أن نعمل بالوسائل الآتية لتحقيق مشروعنا المقدس .

يجب إقامة مجلس يهودى عالمى ينتخب من يهود 15 دولة ، هى : إيطاليا ، وسويسرا ، والمجر ، وبولندا ، وروسيا ، وشمال بريطانيا ، وأسبانيا ، والسويد ، وتركيا ، ودول من آسيا ، وإفريقيا .

هذه اللجنة اليهودية الدولية تكون قراراتها مقبولة لدى كل يهود العالم ، بحيث تصبح قانونا مخضعا وملزما .. واقتراحات هذا المجلس الدولى تبلغ إلى الحكومة الفرنسية إذا اقتضى الحال ذلك .

أما البلاد التى تنوى قبولها مع فرنسا فهى : إقليم الوجه البحرى من مصر إلى عكا .. والبحر الميت إلى البحر الأحمر .. هذا المكان من العالم هو الأكثر ملاءمة من أى بقعة فى العالم .. ونحن فيه نصبح قابضين على تجارة الهند ، وبلاد العرب ، وإفريقيا الجنوبية والشمالية .. ولن تتأخر إثيوبيا عن إقامة علاقات تجارية معنا بمحض رضاها ، فهى البلاد التى قدمت للملك سليمان الذهب والعاج والجواهر الكريمة !!

ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا ، وموقع بلدنا هذا على ساحل

البحر الأبيض المتوسط يمكننا من إقامة مواصلات سهلة مع فرنسا ، وإيطاليا ، وأسبانيا، وسائر دول أوربا .

إن هذا المكان المتوسط من العالم ، سوف يصبح وكأنه مستودع لجميع الحاصلات التى تنتجها الأرض الغنية حوله ..

أما الاتفاقات والترتيبات الأخرى باقتراحاتنا للباب العالى ، فلا تنشر علنا ، وسوف نضطر لإبقائها منوطة بحسن إدارة الأمة الفرنسية ..

انتهى البيان اليهودى !!

وماذا بعد نابليون ؟!

مات نابليون كمدا فى منفاه ، وبدأ زعماء اليهود فى توطيد علاقاتهم بزعماء أوربا ، وبخاصة بريطانيا التى ارتفعت أسهمها بعد هزيمة فرنسا ، ونهاية نابليون .. وكذا ألمانيا ، والإمبراطورية النمساوية المجرية .

يقول الأستاذ الدكتور على الدين هلال ، فى مقال له بمجلة الدوحة [1] . تنبهت الحركة الصهيونية منذ نشأتها إلى ضرورة الحصول على دعم القوى الكبرى ذات التأثير والنفوذ فى فلسطين والمنطقة .. وحدد ذلك مؤتمر بازل بسويسرا عام 1897م، الذى أنشأ الحركة الصهيونية ، والذى نصت مقرراته على أن إحدى وسائل الحركة هى اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على ترخيص دولى Charter يدعم الهدف الصهيونى ، وتصدره عدة دول ، لا دولة واحدة .. وكان «هرتزل» مؤسس الحركة يعطى للجانب الدولى أهمية كبيرة ، وقبل انعقاد المؤتمر بعامين كتب فى يومياته ، بتاريخ 7 يونيو 1895 يقول:

حالما يتم الاتفاق على الأرض ، وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموجود ، سوف نبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع جميع الدول الكبرى للحصول على الضمانات !!

وفى 19 يونيو من نفس العام أرسل رسالة إلى بسمارك، طالبا تأييده للمشروع الصهيونى .

---

(1) العدد 121 ، يناير 1986 م .

وفى أبريل 1896 ، قابل هرتزل ، مستشار قيصر ألمانيا للسعى من أجل الحصول على تأييد ألمانيا لأهداف الحركة الصهيونية .

ومنذ بداية الحركة الصهيونية حرص قادتها على عدم تركيز جهودهم على دولة واحدة ، والإبقاء على خطوط الاتصال مع عدد من الدول الأخرى .. لذلك فإنه مع تركيز هرتزل على ألمانيا ، فإنه سعى فى نفس الوقت لدى إنجلترا ، والإمبراطورية النمساوية المجرية ، وبابا الكنيسة الكاثوليكية ، وروسيا ، وفرنسا ، كما سعى للاتصال بالسلطان العثمانى .

وفى يونيو ، سافر إلى القسطنطينية ، عارضاً على المسئولين فيها تسهيل الاستيطان اليهودى فى فلسطين مقابل مساعدة اليهود فى حل المشكلات المالية التى كانت تواجه الدولة العثمانية ، وكذا مساعدتها فى حل مشكلة الأرض .. ولكن السلطان عبد الحميد رفض هذا العرض .

توزيع الأدوار :

وقام حاييم وايزمان ، الذى خلف هرتزل فى قيادة المنظمة الصهيونية ، بالسير فى نفس الاتجاه .. وخلال الحرب العالمية الأولى ، نشط القادة الصهيونيون للحصول على تأييد كل من الحلفاء من ناحية ، وألمانيا وتركيا من ناحية أخرى .. فخلال السنوات الأولى للحرب ، كان عدد من أبرز قيادات المنظمة الصهيونية يعيشون فى برلين والإمبراطورية النمساوية المجرية ، مثل الدكتور «تشلينوت» ، د. ماكس بودينهايمر .. ومن ناحية أخرى ، كان وايزمان ومجموعة أخرى من قادة الحركة الصهيونية يسعون للحصول على التأييد البريطانى ، وسعوا لكسب عدد من رجال السياسة والصحافة والفكر للمطالب الصهيونية .. من هؤلاء : وايزمان سكوت ، محرر جريدة المانشستر جارديان ، ولويد جورج ، وهربرت صموئيل .

وفى مارس 1915 ، بعث إدوارد جراى ، وزير الخارجية البريطانى ، إلى وزير الخارجية الروسى رأى بريطانيا حول العلاقة بين فلسطين واليهود .. وأن الحكومة البريطانية مهتمة بإيجاد وسيلة لكسب تأييد أغلبية يهود العالم لقضية الحلفاء .. وعبرّ

الروس عن تأييدهم للعرض .. ولكنهم أصروا على ضمان حماية المصالح الدينية الروسية فى الأراضى المقدسة .

وفى عام 1917، استطاع «سوكلوف» أن يحصل من «جوليه كامبو» ، الأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية على رسالة تعرب عن عطف الحكومة الفرنسية على القضية اليهودية .

وهكذا ، وبانتهازية سياسية نادرة ، سعت الحركة الصهيونية إلى الاستفادة من كل الدول .. وخاطبت كلا منها باللغة التى تفهمها ، وبالحجج التى تستثيرها، بحيث تخرج الحركة الصهيونية مستفيدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أيا كانت نيتجة الحرب !!

وعد بلفور :

فى الثانى من نوفمبر من عام 1917 ، أى قبل أن يحتل الجيش البريطانى فلسطين ، أصدر آرثر بلفور ، وزير خارجية بريطانيا ، ما يعرف اليوم بوعد بلفور ، وذلك فى شكل رسالة موجهة إلى اللورد «روتشيلد» ، جاء فيها :

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى .

الغرب .. ووعد بلفور :

ومع أن وعد بلفور يشار إليه عادة إلى أنه وثيقة بريطانية ، إلا أنه فى الحقيقة يعبر عن الموقف السياسى للدول الغربية الكبرى .. فقد لعبت الولايات المتحدة دوراً أساسياً فى إصداره .. واستشير الرئيس الأمريكى «ويلسون» بالنسبة لنص التصريح ، وكانت له تعديلات على المسودة الأولى له ، وأرسل خطابا بهذا المعنى إلى رئيس الوزراء البريطانى .. وكان الموقف الأمريكى من العوامل المشجعة لبريطانيا من إصدار

التصريح، وخاصة مع ازدياد الدور العسكرى والاقتصادى الأمريكى فى دعم الحرب ، لذلك لم يكن من الغريب أن قال وايزمان : «كان هذا التأييد من أهم العوامل التى شجعت الحكومة الإنجليزية على الموافقة على التصريح» .

هرتزل وايزمان

الرخصة الدولية لقيام إسرائيل:

وبعد صدور التصريح توالى التأييد الغربى لأهدافه ، فأيدته فرنسا فى فبراير 1918 ، وتبعتها إيطاليا فى مايو من نفس العام ، ثم بقية دول الحلفاء .

وعندما عقد مؤتمر الصلح فى باريس فى يناير من عام -1919 ، تقدمت الحركة الصهيونية بهدف الحصول على تلك الرخصة الدولية ، والتى سعت من أجلها طويلاً، بحيث يصدر عن المؤتمر وثيقة دولية تتضمن ما ورد فى وعد بلفور .. وأيدت هذا المطلب كل من بريطانيا والولايات المتحدة ، وعبر الرئيس الأمريكى «ويلسون» عن موقف حكومته فى مارس عام 1919، حين قال : قررت الأمم المتحالفة ، بالإضافة إلى التأييد القوى لحكومتنا وشعبنا ، وضع الأساس للدولة اليهودية فى فلسطين !!

وأثمرت هذه الجهود عن نص وثيقة صك الانتداب البريطانى على فلسطين، الصادر فى 1922 ، والذى تضمن مضمون وعد بلفور ، فتقرر :

تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية ، وإدارية ، واقتصادية ، تضمن إنشاء الوطن القومى اليهودى !!

بينما تقرر المادة الرابعة : يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين ، والتعاون معها فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، وغير ذلك من الأمور التى قد تؤثر فى إنشاء الوطن القومى اليهودى ، ومصالح السكان اليهود فى فلسطين !!

ويختتم الدكتور على الدين هلال مقاله بقوله :

وبعد .. لعله لا توجد سابقة دولية أخرى تشابه ما تم وصفه فى هذا المقال ، ولا توجد وثيقة فريدة فى غرابتها مثل وعد بلفور !!

لقد وعدت الحكومة البريطانية بتقديم أرض لا تملكها ، وليس لها صفة قانونية فيها ، بل لم تكن حتى تسيطر عليها عسكريا عند صدور هذا الوعد!!

ومن ثم يحتار الباحث فى الأساس القانونى ، ناهيك عن الاعتبار الأخلاقى الذى يسمح بذلك !!

يزيد من غرابة هذا الوعد ، أنه ورد فى شكل خطاب من وزير الخارجية الإنجليزى إلى مواطن إنجليزى !!

وأخيراً ، فإنه بمقتضى هذا الوعد ، تعهدت الحكومة الإنجليزية أن تعطى أرضا ، كانت تابعة للدولة العثمانية ، إلى اليهود الذين كانوا يعيشون فى كل أنحاء الدنيا وقتذاك ، ولا يمثلون فى فلسطين سوى أقلية ضئيلة تمثل أقل من 10٪ من السكان!!

62 - الحرب الكورية (1950 - 1953)

The Korian War (1950 - 1953)

كانت الحرب الكورية أول الحروب التى تلعب فيها الأمم المتحدة دوراً عسكرياً ..

وقد علق الرئيس الأمريكى «ترومان» على تلك الحرب ووصفها بأنها اختبار للحرب الأيديولوجية على الأرض الكورية بين النظام الشيوعى والنظام الديمقراطى .

بدأت الحرب عندما قامت قوات من كوريا الشمالية ، فى ظل الحكم الشيوعي، بغزو كوريا الجنوبية ، ووصفت الأمم المتحدة الحرب بأنها انتهاك للسلام العالمى، وطالبت الشيوعيين بالانسحاب من كوريا الجنوبية .

ولما استمر الشيوعيون فى قتالهم ، دعت الأمم المتحدة الدول الأعضاء بها إلى تقديم المساعدة العسكرية لكوريا الجنوبية .. فأرسلت ست عشرة دولة من أعضاء المنظمة الدولية قوات لمساندة كوريا الجنوبية ، بينما أرسلت إحدى وأربعون دولة معدات عسكرية ومعونات عينية أخرى .. وقد أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية وحدها نحو 90 % من القوات والعتاد العسكرى والإمدادات الأخرى .

وعلى الجانب المقابل قاتلت الصين والاتحاد السوفيتى بجانب كوريا الشمالية.. وانتهت الحرب بعدما وقعت الأمم المتحدة وكوريا الشمالية اتفاق هدنه.. ولم تبرم حتى الآن أية معاهدة لإحلال السلام الدائم بين الكوريتين الشمالية والجنوبية !!

الجدير بالذكر أن تلك الحرب خلّفت نحو 1 893 000 قتيل !!

الأهالى من سكان كوريا الجنوبية يبحثون عن ذويهم بين جثث القتلى الذين لقوا حتفهم على يد مقاتلى كوريا الشمالية

63 - زراعة الأعضاء والأنسجة (1954)

Limb and tissue implantation (1954)

كانت زراعة الأعضاء والأنسجة بمثابة ثورة كبرى فى عالم الطب ، ساعد فيها التقدم الهائل فى علوم الأدوية والتشريح .

وزراعة الأعضاء والأنسجة هى عملية يتم فيها نقل لأنسجة أو أعضاء من جسم شخص إلى جسم شخص آخر ، أو إلى جسم نفس الشخص ، مع المحافظة على استمرار عمل ذلك النسيج أو العضو بعد نقله (زراعته) إلى بيئته الجديدة فى جسم المريض الذى أجريت له عملية الزرع (النقل) .

وتشمل الأعضاء التى يتم زرعها : قرنية العين ، والكلية ، والقلب ، والكبد ، والبنكرياس ، والقلب والرئة معًا ، ونخاع العظام ، والجلد والشعر .. كما يقوم العلماء بتجربة زرع بعض خلايا المخ لعلاج الشلل الرعاش .

ويؤخذ الأعضاء إما من أشخاص متبرعين أحياء ، أو من أشخاص أوصوا قبل موتهم بالتبرع بأعضائهم ، فتؤخذ منهم هذه الأعضاء عقب الوفاة مباشرة.

وقد انتشرت زراعة الأعضاء ، وأصبحت وسيلة لإنقاذ حياة الآلاف من البشر فى كثير من بلدان العالم ، ممن يعانون تلف هذه الأعضاء فلا تستجيب للعلاج الدوائي.. وتدل الإحصاءات على تحقيق نسبة عالية من النجاحات لزراعة هذه الأعضاء بعد التقدم المذهل الذى وصل إليه الطب حاليا .

أول عملية زرع للأعضاء :

كان زرع قرنية العين أول عملية زرع أنسجة تمت بنجاح .. وساعد على نجاحها عدم تعرضها لعملية الطرد .. إذ أنه ، وكما هو معلوم ، أن الجسم لا يقبل وجود أنسجة أو أعضاء خارجة عنه ، فيحاول التخلص منها بواسطة جهازه المناعى ، والسبب فى عدم تعرض القرنية للطرد هو عدم احتوائها على الدم والكرات البيضاء والأجسام المضادة التى تقوم بعملية الطرد .

كما تعتبر زرع الكلية من أهم وأنجح عمليات زرع الأعضاء ، فقد نجحت أول عملية لنقلها من توأم لأخيه فى بوسطن عام ١٩٥٤ ، وكان معظم العمليات السابقة لها تواجه فشلاً كبيراً بسبب عملية الطرد .

وفى الستينيات من القرن الماضى تم استخدام مركبات الكورتيزون وأدوية أخرى لتثبيط الجهاز المناعى ، وبالتالى تجنب عملية الطرد ..

وبهذا تحسنت النتائج .. وظهر تحسن آخر فى بداية الثمانينيات بعد اكتشاف عقار «السيكلوسبورين» العائق للطرد .

على أن استخدام هذه الأدوية المثبطة للجهاز المناعى لا يخلو من أضرار جسيمة يتعرض لها المريض .. إذ أن المريض الذى تمت له عملية الزرع عليه استخدام تلك الأدوية المثبطة لجهازه المناعى طوال حياته ، وهذا فى حد ذاته يضعف مقاومته للأمراض ، ويجعله أكثر عرضة وقابلية للإصابة بالعدوى ، كما يزيد من احتمال إصابته ببعض الأورام الخبيثة فى الجهاز الليمفاوى.

ومن أهم عوامل نجاح عمليات زرع الأعضاء ، تطابق أو توافق ، أنسجة المانح (المُعْطى) والمستقْبِل (الآخذ) .. هذا فضلا على أن تطوير وتحسين وسائل حفظ

الأعضاء بعد نزعها من جسم المانح وحتى تزرع فى جسم المستقبل بصورة جيدة ساعد كثيراً فى نجاح هذا النوع من الجراحات ، خصوصاً فى عمليات نقل القلب والكبد .

ويسمى النسيج أو العضو الذى يزرع طُعْمًا .. وهناك عدة أنواع من الطعوم ، منها:

* الطُعْم الذاتى : وهو الذى يؤخذ من مكان ما من الجسم ليزرع فى مكان آخر فى نفس الجسم .. كما هو الحال عند زراعة الجلد فى حالات الحروق ، وزرع جزء من وريد فى حالات انسداد الشرايين التاجية فى القلب ، ونقل أوتار العضلات فى جراحات العظام .. وهذه لا يحدث فيها طرد ، لأنها من نفس الجسم ، فهى ليست غريبة .

* الطعْم المماثل : وهو الذى ينقل من شخص لآخر مماثل له تماما من الناحية النسيجية والفصائل الدموية .

* الطعم المختلف : وهو الذى ينقل من شخص لآخر مخالف له من الناحية النسيجية وفصيلة الدم .. وفى هذه الحالة لابد من استخدام الأدوية المثبطة للجهاز المناعى .

* الطعم الغريب .. وهو نقل عضو من جنس إلى جنس آخر مخالف ، كما هو الحال عند نقل كلية أو قلب قرد إلى إنسان .. وزراعة الطعم فى هذه الحالة يواجه أكبر نسبة من الفشل .

أما أول عملية زرع كُلية فى العالم فقد أجراها د. دافيد هيوم ، الأستاذ بجامعة هارفارد وذلك عام 1950 .

أول عملية زراعة قلب :

بدأت قصة عمليات زرع القلوب عام 1907 ، عندما جرب الجراح الفرنسى «الكسيس كاريل» زرع القلوب فى الحيوانات ، إلا أن تجاربه لم تنجح .. ومع بداية عام 1950 وحتى عام 1960 بدأ الجراحان «شمونى» و«ريتشارد لوور» سلسلة تجارب

لزراعة القلوب فى الكلاب ، وحققا نجاحا ملحوظا ، إذ أجريا 8 عمليات على الكلاب ، عاش منها خمسة كلاب لفترات تتراوح بين 6 ، 21 يوماً ..

وفى عام 1964 ، بدأت التجارب الأولية لزراعة القلب فى الإنسان ، وذلك حينما قام فريق طبى فى جامعة المسيسيبى بقيادة الجراح «جيمس هاردى» بزراعة قلب شمبانزى لإنسان عمره 68 سنة .. إلا أن المريض مات بعد ساعة ونصف من إجراء العملية . بعدها توالت التجارب ، وكل منها يسجل تقدماً ملحوظا .

بعد ذلك بدأ التفكير فى زراعة قلوب صناعية تعمل بطريقة ميكانيكية .. ففى عام 1982 ، بدأ البحث عن المريض المناسب لزراعة أول قلب صناعى فى تاريخ البشرية ، كان ذلك على يد فريق طبى يقوده الجراح العالمى «وليام دى فريس» . وكان فى ذلك العام هناك طبيب الأسنان المتقاعد «بارنى كلارك» من مدينة سياتل الأمريكية ، وكان قد بلغ من العمر 61 عاماً .. كان يشكو من ألم شديد فى عضلة القلب منذ ثلاث سنوات .. ولم تفلح جميع الأدوية فى شفائه .. وكان البديل الذى رآه الأطباء آنذاك ، زراعة قلب صناعى له فى صدره!!

فى منتصف يوم 3 ديسمبر من عام 1982 كان الجراحون جاهزين .. شقوا الصدر ، ونزعوا البطينين الأيمن والأيسر ، وتركوا التجويفين العلويين (الأذين الأيمن والأذين الأيسر) ليرتكز عليهما القلب الصناعى ، وتمت زراعة القلب وخاطوه بإحكام بخيوط الداكرون «خيوط صناعية شديدة المرونة» .. وتمت العملية بصعوبة بالغة ، إذ أن أنسجة القلب كانت هشة جداً بسبب الأدوية التى كان يتعاطاها «كلارك» لفترة طويلة مما أعاق عملية الخياطة ..

وفى آخر ديسمبر كتب «دى فريس» فى تقريره عن حالة «كلارك» : إن صحته جيدة جدا ، وله الخيار فى مغادرة المستشفى إذا أراد ذلك ، ولكن حركته الأولى يجب أن تكون فى غرفة خاصة ومجهزة ..

إلا أنه بعد مرور الوقت ، بدأت حالة كلارك تزداد سوءاً ، فأصبح يعانى من تلف الكليتين ، وصعوبة شديدة فى التنفس ، وانخفاض شديد فى ضغط الدم .. ومات «كلارك» صاحب أول قلب صناعى بعد 112 يوماً من زراعته !!

64 - حرب فيتنام (1957 : 1975)

Vetnam War (1957 - 1975)

كانت فيتنام جزءاً من مستعمرة الهند الصينية الفرنسية .. وفى عام 1946 قام الفيتناميون بحربهم ضد فرنسا ، واستطاع الفيتناميون بعد حرب طويلة وشرسة إلحاق الهزيمة بفرنسا عام 1954 .

بعد ذلك انقسمت فيتنام إلى قسمين : فيتنام الشمالية ، ويسيطر عليها الشيوعيون ، وفيتنام الجنوبية . وفى عام 1957 شنت فيتنام الشمالية (الشيوعية) ، بالتحالف مع الشيوعيين فى فيتنام الجنوبية ، حرباً على فيتنام الجنوبية .. وخوفاً من ازدياد النفوذ الشيوعى وسيطرته على القسم الجنوبى .. وقفت الولايات المتحدة بجوار الجيش الفيتنامى الجنوبى .. بينما ساعدت كل من الصين والاتحاد السوفيتى الجيش فى فيتنام الشمالية ، وذلك بإرسال المعدات فقط دون إشراك جنود منهما .. وقد أطلق الشيوعيون على هذه الحرب اسم حرب التحرير ، أو حرب التحرر الوطنى .

إحدى المذابح التى قام بها الجنود الأمريكيون ضد الفيتناميين

جثث القتلى تملأ شوارع فيتنام وقد صار أمراً مألوفاً لدى المارة

فى الفترة من عام 1957 إلى عام 1965 كان الصراع يدور أساساً بين القوات المسلحة فى فيتنام الجنوبية من ناحية والشيوعيين فى فيتنام الجنوبية نفسها ، الذين كانوا يعرفون وقتذاك باسم «الفييت كونج» .. وفى الفترة من عام 1965 إلى عام 1969 ، وقعت حروب كثيرة بين الولايات المتحدة الأمريكية وفيتنام الشمالية .. وقد بدأت الولايات المتحدة الأمريكية سحب قواتها فى عام 1969 .

وفى يناير من عام 1973 أبرم اتفاق لوقف إطلاق النار ، وبعد شهرين غادرت آخر مجموعة عسكرية أمريكية أرض فيتنام ، بعد أن استخدمت القوات الأمريكية هناك كل أنواع الأسلحة التدميرية التى عرفت فى ذلك الوقت .. بعد ذلك دخلت فيتنام فى حرب شبه داخلية بين الشيوعيين وغيرهم .. ولم تنته هذه الحرب إلا بعد استسلام فيتنام الجنوبية فى 30 إبريل من عام 1975 .

65 - هبوط الإنسان على سطح القمر (1969م)

Landing of Man on the moon surface (1969)

ظل القمر فترة طويلة من الزمن مصدر إلهام للبشر .. وكان الوصول إليه أبعد من مجرد حلم .. فما هو القمر ؟

القمر ، هو أقرب جيران الأرض إليها فى الفضاء .. وهو أكثر الأجرام السماوية سطوعًا فى السماء ليلا . إلا أنه لا يشع الضوء من تلقاء نفسه ، بل يعكس ضوء الشمس .

يمر القمر بالعديد من الأطوار .. فقد يبدو فى ليلة هلالا وليدا نحيلا .. بينما يبدو فى ليلة أخرى بدرًا تام الاستدارة .

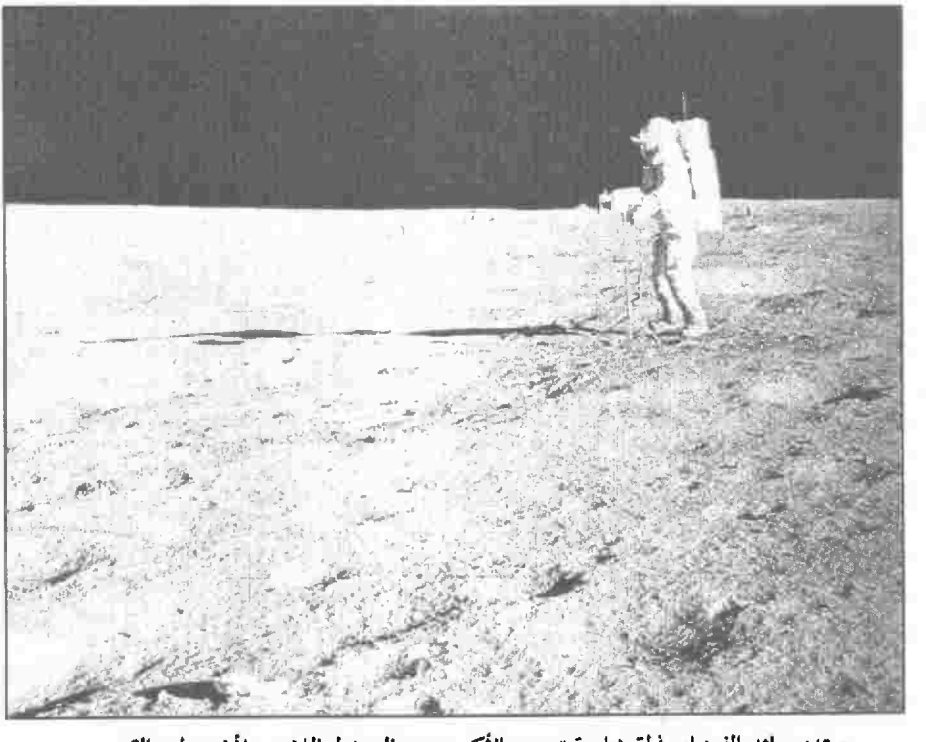

يرتدى رائد الفضاء بذلة خاصة تزوده بالأكسجين والضغط اللازم ؛ لأن سطح القمر يخلو من الهواء نظراً لضعف جاذبيته الذى لا يتيح له الاحتفاظ بغلاف جوى . وبدون الضغط الجوى تتعرض أنسجة الجسم للدمار بفعل الضغط الداخلى .

وبينما لا يغير القمر شكله أو حجمه ، إلا أن هيئته تتغير بمقدار إضاءة الشمس لأجزائه المختلفة .

يدور القمر حول الأرض مرة كل 27 يومًا ونصف يوم .. ويدور حول نفسه فى نفس المدة ، ولذا ، فإنه يواجه الأرض بجانب واحد فقط .. يبلغ قطر القمر حوالى 3476 كيلو متراً ، أى ما يعادل نحو ربع قطر الأرض .. ولا يوجد عليه أى نوع من أنواع الحياة ، ولا يحيط به هواء أو رياح .. وعلى القمر تبدو السماء دائمًا سوداء حتى أثناء النهار ، وتظل النجوم بادية للعيان دائماً .

أما فى الليل فإن سطح القمر الصخرى الزاخر بفوهات البراكين يكون بارداً جداً.. وأثناء النهار تصبح درجة حرارة الصخور أعلى قليلا من درجة غليان الماء.

كان هناك محاولات عديدة للوصول إلى القمر ، من أبرزها رحلة السفينة السوفيتية «فوستوك 1» والتى انطلقت فى الثانى عشر من إبريل عام 1961 وعلى متنها رجل الفضاء الروسى يورى جاجارين، وهو أول رائد فضاء يسبح فى الفضاء الخارجى .. دارت السفينة حول الأرض دورة كاملة ، وقطعت الرحلة فى 108 دقيقة.. بعدها عاد جاجارين ليعلن أن الطريق إلى الكواكب الأخرى أصبح ممهداً ..

وقد تبع هذه الرحلة الناجحة رحلات عديدة لمركبات فضاء سوفيتية وأمريكية.

وفى عام 1969 كان القمر أول جرم سماوى يصله الإنسان .. وذلك عندما هبطت على سطحه مركبة الفضاء الأمريكية «أبوللو 11» .. ومنذ ذلك الوقت ساد اعتقاد بأن سطح القمر يخلو من المياه .. إلا أن وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية «ناسا» أعلنت عام 1977 عن اكتشاف الماء على قطبى القمر .

تربة القمر لينة ، وكما نرى فى الصورة طبعة خطوة رائد الفضاء على القمر

66 - سقوط شاوشيسكو آخر طواغيت أوربا فى القرن العشرين (1989م)

The Fall of Chaucisco (1989)

ما أقسى الطغاة .. وما أشد ظلمهم !!

قد يطول حكم الطواغيت ويمتد إلى سنوات وسنوات .. ومع ذلك فما أسرع سقوطهم !! إنهم يتساقطون بلا مقدمات وبأيسر الأسباب !!

الطاغية فى حكمه يشبه الجبل الرملى ، بارتفاعه الشامخ ، وجثومه فوق سطح الأرض ، فإذا ما تسربت قطرات يسيرة من الماء تحته سرعان ما انهار وتفتت إلى ذرات صغيرة من الرمل لا وزن لها !! أو كشجرة تبدو قوية عتيقة ، إلا أنه لا جذور لها ، فإذا ما وصلت إليها دابة الأرض ونخرتها هوت من عليائها !!

«وشاوشيسكو» طاغية رومانيا ، لا يختلف كثيراً عن غيره من الطواغيت فى حكمهم وإذلالهم لشعوبهم .. وقد يكون الاختلاف الوحيد بين هؤلاء الطغاة هو فى طريقه الإذلال ، وكيفية السقوط !!

قالوا له : إن الناس يكرهونك .. فأجابهم : هذا لا يعنينى مادام الخوف منى يملأ قلوبهم !!

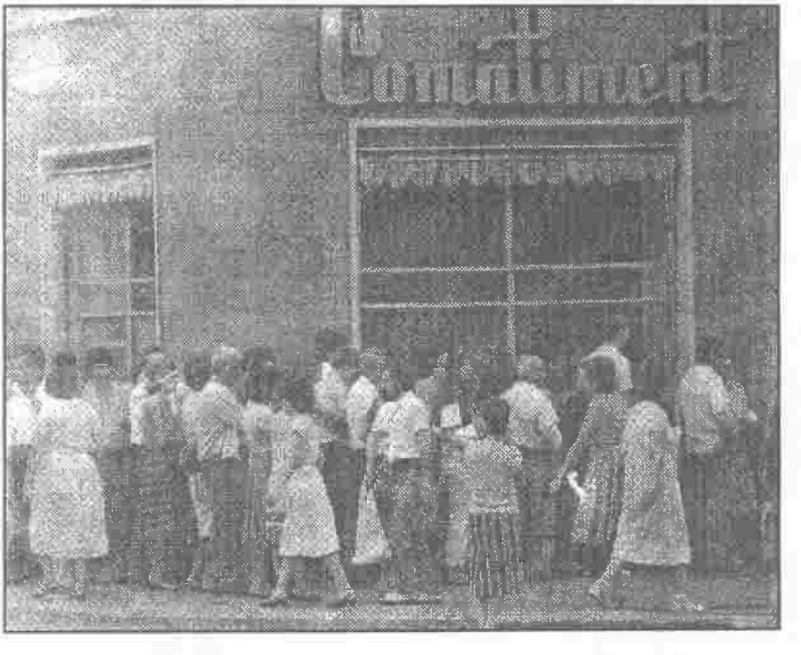

كان سقوط شاوشيسكو أشبه بحلم سريع الأحداث .. وعلى الرغم من أنه رأى بعينيه رموز الطغيان فى العالم تتهاوى من حوله ، إلا أنه استبعد ذلك عن نفسه ، ورأى أنه شيء مختلف تماماً عن غيره !!

فقد رأى تهاوى الطغيان الشيوعى فى بولندا ، والمجر ، وبلغاريا .. وكثير من دول أوربا الشرقية .. إلا أن شاوشيسكو ، الذى تولى حكم رومانيا عام 1965 لم يدر بخلده أن الدور حتما سيأتى عليه .. وأعلن فى خطاب له قبيل إعدامه : إن التغيير سيصل إلى رومانيا فى حالة واحدة .. عندما تطرح أشجار الحور العتيقة ثمار الكمثرى !!

كان آخر خطاب ألقاه تحت حراسة أمنية مشددة ، منع الصحفيون الأجانب من تغطية وقائع هذا المؤتمر ، الذى وقف فيه شاوشيسكو يخطب لمدة خمس ساعات ويؤكد أن رومانيا تسير قدماً فى طريق الفردوس الاشتراكى !!

أى فردوس هذا ، والناس هناك ضياع مشتتون طلبا ، ليس فقط لقوتهم اليومى ، ولكن طلبا لما يسد حاجتهم لوجبة واحدة !!

وهذا ما نستنتجه من حال تلك السيدة ، التى تمكنت بعد صمود وصبر وطول انتظار فى طابور أمام أحد المحلات لبيع البيض ، وأخيراً ظفرت ببيضتين ، وما أن انصرفت حتى وقعت بيضة منهما على الأرض ، فجلست تلم محتويات البيضة وقد اختلطت بالتراب ، وتقول إن هذا أيسر بكثير من محاولة شراء بيضة أخرى !!

لقد كانت تعلم أن شراء بيضة أخرى ضرب من ضروب المستحيلات !!

وقس على تلك السيدة جموع الشعب فى رومانيا !!

أما فى القرى فيقف الآباء فى طوابير طويلة أمام المتاجر فى المساء بعد عودتهم من العمل لشراء احتياجاتهم ، ويتسلم الأجداد منهم نوبة الشراء فيقفون أمام المتاجر بدورهم اعتباراً من الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ليحجزوا مكانًا لهم انتظارا لافتتاح المتاجر فى الصباح ، وبعد الشراء يتوجهون إلى بيوتهم للنوم ، باعتبار أنهم متقاعدون عن العمل .. وهذا تنظيم جديد مبتكر فى الأسرة الواحدة ابتكره نظام شاوشيسكو الطاغية !!

كان هذا عن حال الشعب .. فماذا عن حال شاوشيسكو وأعوانه ؟!

كان شاوشيسكو وأعوانه يعيشون حياة ترف وبزخ لا حد لها .. كان الشعب ينظر بمرارة وحسرة إلى مشروع «قصر الشعب العملاق» وقد أوشك أن يكتمل، وهو قصر لرئاسة الجديد الذى كان شاوشيسكو يأمل أن ينتقل إليه ، إلا أن القدر لم يمهله .. كان يفخر بأن مساحة هذا القصر تفوق مساحة قصر الإليزيه بفرنسا .. ويخرج من فناء القصر طريق جديد أطلق عليه اسم «الثورة الاشتراكية» .. وقد أقيم هذا القصر على أطلال مساكن كانت تعج بالبشر من عامة الشعب .. أزيلت هذه المساكن ليقام على أنقاضها قصر الشعب!!

وقد ذكرت صحيفة «لاتريبيون دى جينيف» السويسرية أن عائلة شاوشيسكو تمتلك نحو 400 مليون دولار ذهبًا فى البنوك السويسرية ، كما أن السفارة الرومانية فى باريس كانت تعمل لحساب «إيلينا» زوجة شاوشيسكو لاختيار أفخر الثياب والحلى من باريس ..

وكان لدى شاوشيسكو ثلاثة مكاتب ، وخمسة قصور للسكن ، 39 بيتا للضيافة معدة له خصيصا فى مختلف أنحاء رومانيا ، تظل مغلقة طوال العام باستثناء ساعات قليلة يقضيها فيها ليقيم هناك حفلاته الصاخبة .. إلى جانب ذلك كان لديه 21 شقة رئاسية فى السفارات بالخارج ، وكان يمتلك تسع طائرات وثلاث طائرات هليكوبتر مجهزة ، وثلاثة قطارات رئاسية من أحدث الطرز ، ومستشفى مخصص لعلاجه وأفراد أسرته .. وكان مخصصا له بدلة جديدة وحذاء جديد كل يوم من أيام السنة ، ويحرقان فى نهاية اليوم حتى لا يرتديهما أحد من بعده !!

أما عن بزخ زوجته «إيلينا» وابنته «زويا» فحدث ولا حرج .. كل هذا فى الوقت الذى كان فيه الشعب الرومانى أفقر شعوب أوربا !!

لم يكن شاوشيسكو يقبل أى نقد لنظامه ، حتى لو كان هذا النقد صادراً من أحد رجالته .. كتب إليه المدعى العسكرى خطابا اتهم فيه حرس الحدود بالرشوة وارتكاب أعمال وحشية ضد المواطنين .. وبدلاً من أن يأمر شاوشيسكو بالتحقيق فى ذلك ، أمر بفصل المدعى العسكرى من عمله ، ثم أودعه السجن بعد أيام ، ومارس

عليه كل أنواع التعذيب ، حتى تمكن من الهرب إلى المجر برفقة زوجته تاركا أطفاله الثلاثة فى جحيم شاوشيسكو !!

بداية الانهيار:

قالوا : معظم النار من مستصغر الشرر .. وهذا ما حدث بالفعل فى رومانيا .. كان بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير .. فما تلك القشة ؟

فى يوم السبت السادس عشر من ديسمبر عام 1989 ، حاولت قوات الأمن المعروفة باسم «السيكوريتات» القبض على قس من أصل مجرى يقيم فى مدينة تيموشوارا ، شمال غربى البلاد ، وذلك بسبب معارضته نظام حكم شاوشيسكو، ولما علم السكان بذلك قاموا بعمل طوق أمنى حول بيت القس لمنع قوات الأمن من القبض عليه .. وتحول ذلك إلى مظاهرة غاضبة تهتف بسقوط الحكومة وتطالب بالحرية .. واتسع نطاق المظاهرات ليشمل مدناً جديدة!!

بعد يومين من اشتعال تلك المظاهرات ، أى فى يوم 18 ديسمبر توجه شاوشيسكو لزيارة إيران تاركا قوات الأمن تتعامل مع المتظاهرين بوحشية . واشترك الجيش بمختلف أسلحته فى قمع تلك المظاهرات .. وسقط العديد من الضحايا ، وحفرت المقابر الجماعية على عجل لإخفاء تلك الجثث .

وعاد شاوشيسكو من الخارج ليعلن حالة الطوارئ فى البلاد ، وليعطى أوامره بضرورة وقف هذه المظاهرات مهما كان الثمن .. وطالب حكومته بعمل مظاهرة تأييد ، ووقف يخطب فى تلك المظاهرة المؤيدة ، إلا أنه لأول مرة يسمع الهتافات التى تطالب باستقالته ومحاكمته !!

استدعى شاوشيسكو وزير دفاعه «فاسيلى ميليا» وأمره أن يقضى على هذه المظاهرات ولو بقتل جميع المتظاهرين .. وكان رد الوزير مفحماً حينما قال : ياسيدى إن الجيش لا يستطيع قتل 23 مليون مواطن هم عدد المتظاهرين ، وهم أيضا عدد سكان رومانيا !!

فصاح فيه شاوشيسكو : لقد كشفت عن وجهك الحقيقى أيها الخائن .. ووجه إليه ثلاث رصاصات قاتلة !!

ولم يكن مقتل وزير الدفاع إلا إيذاناً بتخلى الجيش على مقاومة المتظاهرين فحسب ، بل بالانضمام إلى هولاء المتظاهرين .. وازداد موقف شاوشيسكو سوءاً ، خاصة بعد أن هاجمته الدول الخارجية .. ولم يكن أمام شاوشيسكو سوى الهرب .. كان بقصر الرئاسة مجموعة من الأبواب السرية تؤدى إلى أنفاق تحت الأرض .. اختفى شاوشيسكو وزوجته فى أحد هذه الأنفاق ، وتمكنا من الصعود فوق القصر ، حيث كانت الطائرة فى انتظارهما ، وطارا إلى مدينة «تيرجوفست» على بعد حوالى 70 كيلو متراً من العاصمة ، وكان شاوشيسكو قد أعد هناك مقراً سرياً للإقامة فيه فى حالة الطوارئ .

وما أن وصل شاوشيسكو وزوجته إلى هناك حتى وجدا قوات الجيش فى انتظارهما ، ووضعا رهن الاعتقال ، وقُدّما إلى محاكمة عاجلة ، وفى الخامس والعشرين من ديسمبر حكمت المحكمة عليهما بالإعدام !!

واقتاد الحراس شاوشيسكو وزوجته فى سيارة مصفحة إلى غرفة الإعدام ، وقد ارتسمت علامات الشرود على وجهه ، أما زوجته فقد انهارت تماماً ، وإن كانت تحاول الظهور متماسكة !!

وتكونت فرقة الرماة من ثلاثة جنود .. وتم تنفيذ الحكم فى شاوشيسكو وزوجته رميا بالرصاص ، وليسدل الستار على حياة شاوشيسكو وعائلته وعلى فترة كئيبة من تاريخ رومانيا ، وليتنفس الشعب الرومانى نسيم الحرية بعد ظلم النظام الاشتراكى الذى ظل جاثماً على صدره بقيادة نيكولاى شاوشيسكو وأسرته!!